# مقدمة في أصول التفسير

## لشيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله

## المحاضرة الرابعة عشرة

( النص ) قال شيخ الإسلام :

**" وَحِينَئِذٍ إذَا لَمْ نَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ رَجَعْنَا فِي ذَلِكَ إلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي اخْتَصُّوا بِهَا ، وَلِمَا لَهُمْ مِنْ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، لَا سِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، مِثْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ.**

**قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطبري : حَدَّثَنَا أَبُو كريب قَالَ أَنْبَأَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ أَنْبَأَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ : "وَالَّذِي لَا إلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تناوله الْمَطَايَا لَأَتَيْته".**

**وَقَالَ الْأَعْمَشُ أَيْضًا عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ".**

**وَمِنْهُمْ الْحَبْرُ الْبَحْرُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَهُ حَيْثُ قَالَ : "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ".**

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ : "نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ."

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ داود عَنْ إسْحَاقَ الْأَزْرَقِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : "نِعْمَ التُّرْجُمَانُ لِلْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ."

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ بُنْدَارٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ عَنْ الْأَعْمَشِ بِهِ كَذَلِكَ.

فَهَذَا إسْنَادٌ صَحِيحٌ إلَى ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذِهِ الْعِبَارَةُ، وَقَدْ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَعَمَّرَ بَعْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَمَا ظَنُّك بِمَا كَسَبَهُ مِنْ الْعُلُومِ بَعْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ؟.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ: اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْمَوْسِمِ فَخَطَبَ النَّاسَ ، فَقَرَأَ فِي خُطْبَتِهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ - وَفِي رِوَايَةٍ سُورَةَ النُّورِ - فَفَسَّرَهَا تَفْسِيرًا لَوْ سَمِعَتْهُ الرُّومُ وَالتُّرْكُ وَالدَّيْلَمُ لَأَسْلَمُوا.

وَلِهَذَا غَالِبُ مَا يَرْوِيهِ إسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السدي الْكَبِيرُ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَنْقُلُ عَنْهُمْ مَا يَحْكُونَهُ مِنْ أَقَاوِيلِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّتِي أَبَاحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، حَيْثُ قَالَ : "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

وَلِهَذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَدْ أَصَابَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ زَامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَكَانَ يُحَدِّثُ مِنْهُمَا بِمَا فَهِمَهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ الْإِذْنِ فِي ذَلِكَ.

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الإسرائيلية تُذْكَرُ لِلِاسْتِشْهَادِ ، لَا لِلِاعْتِقَادِ فَإِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا :مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ فَذَاكَ صَحِيحٌ .

والثَّانِي : مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.

و الثَّالِثُ : مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ ، لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، فَلَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نُكَذِّبُهُ ، وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ ، وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ، وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرًا ، وَيَأْتِي عَنْ الْمُفَسِّرِينَ خِلَافٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ:

كَمَا يَذْكُرُونَ فِي مِثْلِ هَذَا أَسْمَاءَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَلَوْنَ كَلْبِهِمْ وَعِدَّتَهُمْ وَعَصَا مُوسَى مِنْ أَيِّ الشَّجَرِ كَانَتْ ؟ ، وَأَسْمَاءَ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْقَتِيلُ مِنْ الْبَقَرَةِ ، وَنَوْعَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا دِينِهِمْ، وَلَكِنَّ نَقْلَ الْخِلَافِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا".

فَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْأَدَبِ فِي هَذَا الْمَقَامِ. وَتَعْلِيمِ مَا يَنْبَغِي فِي مِثْلِ هَذَا؛

فَإِنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ ضَعَّفَ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثِ فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ ؛ إذْ لَوْ كَانَ بَاطِلًا لَرَدَّهُ كَمَا رَدَّهُمَا.

ثُمَّ أَرْشَدَ إلَى أَنَّ الِاطِّلَاعَ عَلَى عِدَّتِهِمْ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ فَيُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا : "قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ "، فَإِنَّهُ مَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إلَّا قَلِيلٌ مِنْ النَّاسِ مِمَّنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَلِهَذَا قَالَ : "فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا " أَيْ : لَا تُجْهِدْ نَفْسَك فِيمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَلَا تَسْأَلْهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ ذَلِكَ إلَّا رَجْمَ الْغَيْبِ.

فَهَذَا أَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِي حِكَايَةِ الْخِلَافِ: أَنْ تُسْتَوْعَبَ الْأَقْوَالُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَأَنْ يُنَبَّهَ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْهَا ، وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ، وَتُذْكَرَ فَائِدَةُ الْخِلَافِ وَثَمَرَتُهُ ؛ لِئَلَّا يَطُولَ النِّزَاعُ وَالْخِلَافُ فِيمَا لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ فَيَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ الْأَهَمِّ.

فَأَمَّا مَنْ حَكَى خِلَافًا فِي مَسْأَلَةٍ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ أَقْوَالَ النَّاسِ فِيهَا فَهُوَ نَاقِصٌ ؛ إذْ قَدْ يَكُونُ الصَّوَابُ فِي الَّذِي تَرَكَهُ أَوْ يَحْكِي الْخِلَافَ وَيُطْلِقُهُ وَلَا يُنَبِّهُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ أَيْضًا.

فَإِنْ صَحَّحَ غَيْرَ الصَّحِيحِ عَامِدًا فَقَدْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ ، أَوْ جَاهِلًا فَقَدْ أَخْطَأَ.

كَذَلِكَ مَنْ نَصَبَ الْخِلَافَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ أَوْ حَكَى أَقْوَالًا مُتَعَدِّدَةً لَفْظًا ، وَيَرْجِعُ حَاصِلُهَا إلَى قَوْلٍ أَوْ قَوْلَيْنِ مَعْنًى فَقَدْ ضَيَّعَ الزَّمَانَ وَتَكَثَّرَ بِمَا لَيْسَ بِصَحِيحِ ، فَهُوَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ."

---

الشرح :

قد ذكر المصنف رحمه الله الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى فيما سبق أنّ تفسير القرآن يكون بالقرآن، ثم يكون بالسنة، وقد يكون بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم،

والصحابة رضوان الله عليهم الذين نُقل عنهم التفسير ليسوا بالكثير؛ بل كانوا قليلين

-وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن أشهر المفسرين من الصحابة تسعه :

1- ابن مسعود رضي الله تعالى عنه . 2- ابن عباس رضي الله تعالى عنه .

3- أبو هريرة رضي الله تعالى عنه . 4- وجابر . 5- ابن الزبير .

6-وعائشة رضي الله تعالى عنها . 7- وأنس بن مالك . 8- ومعاذ بن جبل .

9- وأبو موسى الأشعري . رضي الله تعالى عنهم .

-فممن نقل عنهم التفسير الخلفاء الأربعة:

أبو بكر رَضِيَ اللهُ عنْهُ، كما نقل عنه تفسير قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"[المائدة:105]، فإنه لما قرأها قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول. إلى آخر الحديث ففسر هذه الآية لأنهم ذهبوا إلى غير التفسير الصحيح فيها.

عمر رَضِيَ اللهُ عنْهُ أيضا نقل عنه تفسير كثير .

-وكان أكثر الخلفاء الأربعة تفسيرا الإمام الحبر علي رَضِيَ اللهُ عنْهُ؛ ولهذا صار تلامذة علي بن أبي طالب في التفسير الذين تلقوا عنه التفسير والأقوال في تفسير الآي أكثر من غيره من الخلفاء الأربعة يعني من الخلفاء الثلاثة.

-وفسر القرآن أيضا من الصحابة ابن مسعود، وكان له مدرسة كبيرة في التفسير في الكوفة.

والمعروف أن ابن مسعود لا يأخذ عن الإسرائيليات ، وإنما الذي يأخذ ابن عباس .

-وفسره أيضا ابن عباس، وله مدرسة كبيرة في مكة، أخذ عنه جمع كثير كما هو معروف.

لقب بالبحر لكثرة علمه، والحبر معناه أيضاً سعة العلم، لأن الحبر والبحر الشيء الواسع ويقال: الحبر، والحبر بالكسر أيضاً.

وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلي الله عليه وسلم له، حيث قال: (( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))

-وهناك آخرون من الصحابة نُقل عنهم التفسير الكثير؛ لكنها أقل من هؤلاء كأبي بن كعب وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين، وغير هؤلاء من الصحابة.

ولاشك أن تفسير الصحابة للقرآن هو أوثق التفاسير بعد تفسير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال مسروق رحمه الله: "لقد جالست أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فوجدتهم كالإخاذ (الغدير)، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ" [المدخل إلى السنن الكبرى، صفحة ست عشَرة] .

وثبت عنه – رضي الله عنه – أنه قال: "كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ" .

فتعلموا العلم والعمل ، وهذه هي الغاية من دراسة القرآن وحفظه وتلاوته أن نعمل به .

وَمِنْهُمْ الْحَبْرُ الْبَحْرُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما .

ويصدق فيه ما قاله الشاعر الدكتور العشماوي وفقه الله في غيره :

أنت حبر .. بحر .. ربح .. حرب .. كيف قلبتها إليك تؤول .

الصحابة لم يكونوا مثلنا .. ما كانوا يعرفون الحسد، ويعترفون بالفضل لبعضهم . فرضي الله عنهم وحشرنا معهم .

ولابد أن يكون هذا حالهم ، فإنما اختارهم الله لنصرة دينه ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :«إنّ الله اختار أصحابي على الثقلين» [أخرجه البزار] . اختار واصطفاهم لنصرة دينه ، فحفظ الله بهم الإسلام، والقرآن، وتفسير القرآن .

وقال تعالى : { قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى } قال ابن عباس: أي الصحابة . قوم اصطفاهم الله ليتقوى بهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وليتعلموا منه تأويل القرآن حتى يبلغوه الناس .

وقول ابن مسعود " **"وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تناوله الْمَطَايَا لَأَتَيْته".**

قال في سنده ( **حدثنا أبوا كريب)**

أبو كريب هذا ثقة وهو من شيوخ أصحاب الكتب الستة ، توفي رحمه الله سنة سبع وأربعين مائتين للهجرة .

قال ( **قال أنبأنا جابر بن نوح** )

عن جابر بن نوح الحماني هذا ضعيف توفي رحمه الله سنة سبع ومائتين للهجرة .

قال ( **قال أنبأنا الأعمش** )

الأعمش ثقة من رجال الصحيحين .

قال ( **عن أبي الضحى** )

هو مسلم بن صبيح هذا ثقة وهو تابعي جليل وهو من تلامذة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

قال ( **عن مسروق** )

مسروق هذا ثقة وهو تابعي جليل وهو من تلامذة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

-هذا يدل على عظيم علم الصحابة رضي الله عنهم وفيه حجه قويه لما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله إلى أنه يرجع إلى تفسير الصحابة ,

هذا الأثر أخرجه ابن جرير بهذا الإسناد فيه ضعف ، ولكنه في الصحيحين هذا الأثر ، لكن الشيخ رحمه الله أتى بهذا المتن الذي رواه ابن جرير الطبري لكونه أتم مع كونه في الصحيحين مختصرا ، فهذا يدل على عظيم علم الصحابة رضي الله عنهم ، ويدل على عظيم علم ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

-وهذا فيه السفر في طلب العلم، وليس مراد ابن مسعود رضي الله عنه بهذا أن يمدح نفسه وأن يفخر بها، لكن مراده أن يحث الناس على تعلم كتاب الله عز وجل وعلى طلب تفسيره من أهله، ولعله أيضاً يريد أن يتعلم الناس منه، تفسير كلام الله سبحانه وتعالى.

قال ( **عن أبي وائل** )

وأبي وائل هذا شقيق ابن سلمه توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين للهجرة وأدرك النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام ولم يره ففاته شرف الصحبة ولهذا يقول العلماء عنه أنه مخضرم وهو ثقة ومن كبار تلامذة ابن مسعود رضي الله عنه .

قال (**أيضاً عن أبي وائل عن ابن مسعود قال كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن** )

والأثر الذي ذكره وائل عن ابن مسعود هذا أخرجه الطبري بإسناد صحيح وهذا يدل على تقديم تفسير الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فالسلف علمهم مبارك لأنهم يجمعون بين العلم والعمل ولهذا ابن عمر رضي الله عنه جلس في الفاتحة ثمان سنوات وكل ذلك كما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يتعلمون المعاني ويعملون .

قال ( **ومنه الحبر البحر عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم** )

يعني ابن عباس رضي الله تعال عنه كثير العلم ولهذا كثير من العلماء يقدم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في التفسير على غيره من الصحابة ,ابن عباس ولد قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة سنوات وتوفي رضي الله عنه سنة ثمان وستين للهجرة .

قال ( **وترجمان القرآن ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له** )

المترجم هو الذي ينقل من لغة إلى لغة أخرى هذا المترجم ، ثم توسع فيه حتى أطلق على الموضح للمعنى فيقال له مترجم .

قال ( **حيث قال اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل** )

وهذه آية من آيات النبي صلى الله عليه وسلم دعا له النبي عليه الصلاة والسلام فاستجيب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه دعا له أن يفقه في الدين ويعلمه التأويل ، وأصبح من الأئمة في التفسير رضي الله تعالى عنه تفسيره معتمد

قال ( **قال جرير حدثنا محمد بن بشار قال أنبأنا وكيع** )

محمد بن بشار ثقة توفي رحمه الله سنة اثنتين وخمسين مائتين للهجرة . ووكيع بن جراح هذا إمام معروف توفي رحمه سنة ست وتسعين ومائة للهجرة

قال ( **قال أنبأنا سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق** )

مسلم بن صبيح ثقة .

قال (**قال عبد الله يعني ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ... فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة ، وقد مات ابن مسعود في سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح وعمر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود**)

وهذه إشارة من الشيخ رحمه الله على تقديم ابن عباس على ابن مسعود ، لأنه كما ذكرنا اشتهر في التفسير من الصحابة ومنهم ابن عباس وابن مسعود ،

كثير من العلماء يقدمون تفسير ابن عباس على تفسير ابن مسعود رضي الله تعالى لعدة أدلة :

الدليل الأول : ما ذكره الشيخ عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له .

الدليل الثاني : أن ابن مسعود نفسه قال "نعم الترجمان للقرآن ابن عباس" وهذا بيان من ابن مسعود لفضيلة ابن عباس رضي الله عنهما .

الدليل الثالث : أن ابن مسعود توفي سنة ثلاث وثلاثين وعمِر بعده ابن عباس ست وثلاثين سنة ، فكونه يعمر هذا العمر بعده يكون اكتسب شيئا كثيرا من العلوم ،لأن طالب العلم كلما طال به العمر كلما ازداد من علم .

الدليل الرابع : قال (وقال الأعمش عن أبي وائل : استخلف علي عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة – وفي رواية سورة النور – ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا)

الترك قبائل سكنوا أسيا الصغرى تركستان والأنابول ، والروم هم النصارى ، والديلم جبل في قزوين ،وأكثرهم عجم وهذا الأثر أخرجه الطبري وإسناده صحيح وهذا الدليل الرابع .

ما هي الدلائل المؤكدة على أهمية تفسير الصحابة ؟

الجواب :

أولاً: لتلك الآثار التي تبين سعة علمهم بكتاب الله .

ثانياً : أنه شهدوا التنزيل وعرفوا أحواله .

وهذه مسألة عقلية لا يدخلها إلا الجدل السفسطي، فلو افترضت ملكًا له مستشارون هم من خاصته، ألا يكونون أعلم بأحواله وبإشارته وبأوامره من غيرهم، فإذا كان الأمر كذلك، كان الرجوع إليهم لمعرفة أمور الملك مما يتحتَّم.

وكذا لو تُصُوِّر عالمٌ له طلابٌ اختصوا به، وتلقوا على يده العلم، ولازموه ملازمة طويلة، فكتب لهم في العلم كتابًا، فإنهم أدرى بأسرار هذا الكتاب من غيرهم، لما لهم من المشاهدة لحال شيخهم، ومعرفتهم بطريقته.

فإذا كان ذلك أمرًا عقليًّا بدهيًّا، فكيف يعترض معترض على صحة الرجوع إلى تفسير الصحابة، أو يطعن طاعن في فهمهم لكتاب الله، ومعرفتهم به، مع ما عُرف عن بعضهم من الخلوص لهذا الكتاب والاعتناء به.

ثالثاً : هم أعلم الناس بأسباب النزول .

رابعاً : أنهم عرفوا أحوال من نزل القرآن فيهم .

يقول الشاطبي ـ في بيان أهمية معرفة الأحوال في التفسير ـ: "ومن ذلك: معرفةُ عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثَمّ سبب خاص، لا بدّ لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشّبه والإشكالات التي يتعذّر الخروج منها إلا بهذه المعرفة" [الموافقات 229/3 ] .

ثبت في الصحيحين ، عن عُرْوَةَ – رضي الله عنه – قال : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا } . فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ؟

فبينت له أنهم كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الْمُشَلَّلِ – الثَّنِيَّة الْمُشْرِفَة عَلَى قُدَيْد– فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ لمناة لم يطف بينِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه

وسلم – عَنْ ذَلِكَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ }

الْآيَةَ .. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا".

خامساً : أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن .

فهم أعمق هذه الأمة في فهم اللغة التي نزل بها القرآن هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاصة القرشيين منهم؛ لأن علماء الصحابة كانوا يعتنون بموارد التفسير في اللغة، كما جاء مثلا عن عمر رَضِيَ اللهُ عنْهُ حينما فسر قوله تعالى في سورة النحل"أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ"[النحل:47]، قام رجل وقال: يا عمر أو عمر قال: ما التخوف؟ سأل الناس على المنبر؛ لأنه كان يقرؤها يوم الجمعة كثيرا قال: ما التخوف؟ فسكت الناس فقال رجل من هذيل وقال: يا أمير المؤمنين التخوف في لغتنا التنقص، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تَامِكًا قَرِدًا**** كما تَخَوَّف عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فالتخوف التنقص؛ يعني نقص.

"أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ " قال عمر: عليكم بديوان العرب فإن به معرفة كلام ربكم؛ يعني التخوف التنقص، يأخذهم على تخوف يعني يبدؤهم ينقصهم شيئا فشيئا في النعمة مما هم فيه حتى يهلكهم.

عَلِمَ اللغة والصحابة هنا نظروا إلى اللغة ففسرها بذلك.

وهكذا بقية الصحابة ابن عباس رَضِيَ اللهُ عنْهُ كان عالما بأشعار العرب، فكان يجلس في منزله في مكة ويصيح غلامه من أراد أن يسأل عن شعر العرب ولغتها فليدخل، فيدخل من يريد أن يسأل عن الأشعار فيجيب ابن عباس رضي الله عنهما وهكذا.

فالاهتمام باللغة هذا أساس التفسير لأن القرآن أنزل اللسان عربي مبين أصح الناس لفهم اللغة هم الصحابة؛ لأن اللحن لا يوجد فيهم ولم يداخلهم العجم ولم تدخلهم العجمة، ولم يتفرقوا في البلاد بمخالطة من ليس من أهل اللغة، فهم أهل اللسان الصحيح، هذا هو السبب الثاني من أن الاعتماد على تفاسير الصحابة يتعيّن وصحة تفاسيرهم في ذلك ظاهرة.

ثبت عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى : { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ... } قال :"كَانَ نَاسٌ مِنْ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنْ الْجِنِّ ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ".

قال ابن حجر رحمه الله :"اِسْتَشْكَلَ اِبْن التِّين قَوْله : " نَاسًا مِنْ الْجِنّ " مِنْ حَيْثُ إِنَّ النَّاس ضِدّ الْجِنّ ، وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ عَلَى قَوْل مَنْ قَالَ : إِنَّهُ مِنْ نَاس إِذَا تَحَرَّكَ أَوْ ذُكِرَ لِلتَّقَابُلِ حَيْثُ قَالَ : نَاس مِنْ الْإِنْس وَنَاسًا مِنْ الْجِنّ ، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي عَلَى مَنْ يَعْتَرِض" .

يعني كيف يعترض على من نزل القرآن بلسانهم . فلله در ابن حجر رحمه الله .

سادساً : حسن فهمهم .

فالصحابة رضوان الله عليهم أسلم الأمة في التعبير عن القرآن من حيث ما يتورّع أن لا يدخل في القرآن، ولذلك كان كلامهم في التفسير قليلا كثير الفائدة فلم يكونوا يكثرون من الكلام خشية أن يقال في القرآن ما ليس بحق، فكان كلامهم قليلا كثير الفائدة في التفسير، فهم يعرفون مواطن الزلل ومواطن الهداية فيتفعون الناس في تفسير القرآن فالصحابة رضي الله عليهم شهد لهم الله جل وعلا بعمومهم ولعلمائهم بخصوصهم. فالمصير إلى تفاسير الصحابة بعد التفسير بالقرآن والسنة هو أقوى طرق التفسير ولابد من الرجوع إليه، فلا يصح لأحد أن يفسر القرآن بدون الرجوع إلى تفاسير الصحابة، قد يزيد يفصل في تفاسير الصحابة، يفصل ما أجملوه؛ لكن لا يصح أن يكون هناك تفسير للصحابة، ونذهب عنه إلى غيره؛ لأن هذا مصير إلى أنهم لم يدركوا الصواب في تفسير القرآن.

سابعاً : سلامة قصدهم ، فالبدع لم تظهر إلا بعد عهدهم ..

عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: صلينا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء ؟ قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «ما زلتم ها هنا»؟ قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلِس حتى نصلي معكم العشاء؟ قال: «أحسنتم »، فرفع رأسه إلى السماء –وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء– فقال: «النجومُ أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» أخرجه مسلم .

قال النووي رحمه الله : "ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، وقوله – صلى الله عليه وسلم – : «وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون» أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك، قوله – صلى الله عليه وسلم – : «وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته – صلى الله عليه وسلم – ".

فهذا كله يدل على أهمية معرفة تفسيرهم للقرآن الكريم ..

ولكنْ للأسف كثيراً ممن يُدَرِّس أو يَدرُس التفسير لا يهتم بإيراد أقوال الصحابة ، وكثيراً ما تراه يكتفي بأن ينسب التفسير إلى المتأخرين من المفسرين كابن عطية والقرطبي وابن كثير... وغيرهم. وفي هذا المسلك ما يقطعُ على طالب العلم شرف الوصول إلى علوم هؤلاء الصحابة وأفهامهم، بل قد يجعله ينظر إلى أقوالهم نظر المقلّلِ من شأنها، ويرى أن تفسيراتهم سطحيّة، لا عمق فيها، ولا تقرير!! بخلاف تفسير المتأخرين لكثرة ما يسمع من عبارة (قال ابن كثير) ولقلة ما يسمع من عبارة (قال ابن عباس) ..

وسبيل أهل العلم الراسخين فيه أنهم (يكثرون من ذكر تفسير الصحابة رضي الله عنهم)، وانظر كم الفرق بين أن يُقال: هذا قول ابن عباس في الآية، أو يقال: هذا قول ابن عطية في الآية. انظر إلى ما ستميل إليه نفسك؟ ويطمئن إليه قلبك ؟

**قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في ابن عباس رضي الله عنهما :«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»** ..

ما معنى التأويل ؟

التأويل يذكر عند السلف وفي نصوص الكتاب والسنة بمعنيين :

1- بمعنى : الإيضاح والبيان . وهذا هو المراد في دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس : أي علمه تفسير القرآن ومعناه . ومنه قول ابن جرير :" القول في تأويل قول الله تعالى ".

- ويطلق بمعنى : حقيقة الشيء التي يؤل إليها .

وللتأويل مصطلح حادث وهو : استعمال اللفظ لغير ما وُضِعَ له، وهذا المعنى حادث ، لا يُحمل عليه كلام السلف ولا كلام الله تعالى ولا كلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

ولتفسير الصحابة مرجعان :

الأول : ما يرجع إلى النقل.

الثاني : ما يرجع إلى الاستدلال .

أما ما يرجع إلى النقل :

-فقد يتعلق بالمشاهدة :

كما في أسباب النزول ، فقد شاهدها الصحابة رضي الله عنهم .

-وقد يتعلق بالسماع :

وهذا بأن يسألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن آية فيبن لهم تفسيرها . أو بأن يخبرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بتفسيرها من غير سؤال . فأحياناً يسأل الصحابي عن آية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ..

مثاله : ما خرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد – رضي الله عنه – قال : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ؟ قَالَ : فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ ثُمَّ قَالَ :«هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» ، لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ .

-وربما فسر النبي – صلى الله عليه وسلم – الآية مباشرة للصحابي ..

مثال : حديث البخاري عَنْ أَبِي ذَرٍّ – رضي الله عنه – قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : «يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ» . قال : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ؟ قَالَ :«فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } » . فهذا من تفسير الصحابي الذي يرجع إلى النقل ويتعلق بالسماع .

-وبعض الأخبار عن الصحابة فيما يتعلق بالغيبيات مندرجة تحت تفسيرهم الذي يرجع إلى النقل .

أما تفسير الصحابي الذي يرجع إلى الاستدلال ..

فهو ثلاثة أقسام :

الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

فربط الصحابي بين آيتين هذا من باب الاجتهاد ، ولو كان الذي ربط بينهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لذكر ذلك الصحابي .

كما جاء عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في تفسير قوله تعالى : { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } قال: تزويجها: أن يجمع كل قوم إلى شَبَهِهِم، قال تعالى : { احْشُرُوا الَذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ } [الصافات:22] .

فهذا تفسير صحابي مرجعه الاجتهاد وليس النقل .

الثاني : تفسير القرآن بحديث مما لم ينص فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – بشيء .

ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هريرة – رضي الله عنه – ، عَنْ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ :«فَضْلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً ، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ» . إلى هنا انتهى الحديث .

قال أَبُو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } . هذا الربط لم يثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وإنما هو عن اجتهادٍ من صحابي .

الثالث : التفسير بناء على المعنى اللغوي، أو ما تحتمله الآية .

وقد نزل بالقرآن بلغتهم وهو أعرف الناس بها . وسبق الكلام عن أنّ الآية إذا احتملت معانٍ عديدة لم يكن بينها تعارض تُحمل عليها جميعاً .

والصحابة كانوا يجتهدون في باب التفسير على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ..

مثاله : حديث عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رضي الله عنه – قَالَ: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ (وضُبطت : السَّلاسل وهذا هو الأشهر)، قال: فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ :«يَا عَمْرُو ، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ»؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنْ الِاغْتِسَالِ ، وَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

–وقد يخطئون في اجتهادهم فيصوبهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كمن قرأ : { حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود } فعمد عِقَالَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ ؟ قَالَ :«إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ» ثم بين له أن المقصود بياض النهار وسواد الليل .

– وطرق التفسير لهؤلاء الصحابة منها ما هو صحيح ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف، وطرق التفسير بمعنى الأسانيد، منها ما هو جادة معروفة يروى بها التفسير آيات كثيرة عن علي رَضِيَ اللهُ عنْهُ بإسناد، عن ابن مسعود بإسناد، وهذه معروفة اسمها جواد الأسانيد في التفسير، لذلك تجد ابن جرير يكررها لأنها منقولة في نسخ، أكثرها رواية بمعنى نسخ موجودة رواها المتأخر عن تلامذة ابن مسعود، وظلت نسخة فيها تفسير آيات كثيرة جدا ثم يفرّقها من ألّف في التفسير في تفسيره، وهكذا ابن عباس رَضِيَ اللهُ عنْهُ مجاهد عرض عليه القرآن من أوله إلى آخره .

– قال **(ولهذا فإن غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين)**

إسماعيل بن عبد الرحمن السدي هذا تابعي صغير توفي بعد سنة مائة وعشرة للهجرة وسمي السدي لأنه جلس بسدٍ أي الطريق الصغير عند الحرم فنسب إليه

–ممن نقل التفسير بأسانيد على الجادة إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي الكبير، وقولنا هنا السُّدي الكبير؛ لأنه فيه السُّدي الصغير محمد بن مروان وهو متهم بالكذب،

أما إسماعيل بن عبد الرحمن فهو صدوق في الرواية، لكنه عمدة في نقل التفسير، وهو في الحديث صدوق، وإن روى له مسلم في الصحيح لكنه هو ليس بمرتبة الثقات الرواة الضابطين؛ لكنه في التفسير صحيح الرواية إلا أنه تصرف في تفسير ابن مسعود وابن عباس ، ونصه على ذلك يقول: دخل حديث بعضهم في بعض. وربما قال: وربما زدتُ أشياء من غير حديثهم، فخلط. وذكر بن تيمية أن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي أدخل أشياء من الإسرائيليات في التفسير بما سمع

لماذا أدخلها؟ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «حدثوا عن بني لإسرائيل ولا حرج» وهذا قاده إلى البحث في الكلام على الإسرائيليات ، وأن هذه الإسرائيليات طغت في كتب التفسير وزادت حتى دخلت في أشياء لا فائدة منها البتة كما ذكر عن أهل الكهف عدتهم، كلبهم، لون كلبهم، والشجرة التي كلم الله موسى، ونوع كذا أو نوع كذا؛ يعني تفاصيل يذكرها أصحاب الإسرائيليات .

-قال (**ولهذا كان عبد الله بن عمرو وقد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك)**

الزاملتين أي ما حملته دابتين . وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام أن عبد الله ابن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من أهل الكتاب أي أصاب دابتين على ظهورهما كتباً ،

قال ش خالد المشيقح : " وهذا في صحته نظر ؛ لأنه ورد في كتب التاريخ فقط ، ثانياً أنه بعد الاستقراء والتتبع ما وجد أن عبد الله ابن عمرو روى عن أهل الكتاب إلا قصة هاروت وماروت ، والإسناد فيه ضعف ، وأيضاً عبد الله بن عمرو كان مشغولا بالعبادة كان يصوم النهار ويقوم الليل ".

الإسرائيليات ذكر شيخ الإسلام بن تيمية أنها ثلاثة أنواع :

أما الأول يعني ما ذكره مما يعلم أنه في شريعتنا، هذا لا بأس بروايته لأنه جاء في شريعتنا ما يؤيده.

والثاني ما نعلم في شريعتنا ما يكذّبه ويرده؛ مسائل العقائد والأخبار عن الأنبياء أو عن الكتب ونحو ذلك، فهذا يجب علينا أن لا ترويه؛ لأن روايته هي رواية ما جاء بشريعتنا خلافه، والمعتمد ما جاء في شريعتنا؛ لأن الإسرائيليات دخل فيها الكذب في ذلك.

مثاله ما ورد في الإسرائيليات أن الذبيح إسحاق هذا كذب لأن الذبيح إسماعيل .

قال الشيخ ابن عثيمين : " ما نحتاج إليه من النقل لا بد أن يقوم عليه دليل؛ وما لا حاجة إليه فإنه لا يقوم عليه دليل لأنه لا حاجة إليه، فكل ما يحتاج العباد إلى بيانه فلابد أن يقوم عليه دليل صحيح، ولا يمكن أن يدعه الله عز وجل بدون دليل تطمئن له النفوس."

والثالث ما لا نعلم في شريعتنا أنه صحيح أو أنه غير صحيح لا نعلم ما يؤيده أو ما يبطله، وهذا يكثر في التواريخ والأسماء والتفاصيل . فهذا هو الذي قال فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا

تصدقوهم ولا تكذّبوهم» فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم؛ لأنهم إذا حدثوا بشيء لا نعلم صدقه بشريعتنا ولا نعلم كذبه من شريعتنا، ولا نعلم صدقه ولا كذبه فينطبق عليه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم»، وينطبق عليه الحديث الآخر «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، وهذا هو الذي جعل الصحابة يروون التفسير كما فعل عبد الله بن عمرو وغيرهم؛ رووا التفسير عن الإسرائيليات خاصة في قصص الأنبياء وذكر المغيبات مما هو موجود في كتبهم وشروحهم، توسعوا فيه لأجل «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

وزاد ش صالح آل الشيخ في شرحه نوعا رابعا فقال :

" أما النوع الرابع فهو ما تحيله العقول؛ يعني هو لم يرد في شريعتنا؛ لكن العقول تحيله، العقل يرفضه العقل الصحيح والعقل الصريح هنا يرفضه، هنا يجب أن يرد، من مثل تفسير "ق" أنه جبل محيط بالأرض أو أن الأرض صفتها كذا وأنها تنتهي إلى طرف كذا وطرف كذا، وأن الشمس كانت كذا ثم مسخت إلى الجبل؛ يعني تفاصيل تتعلق بمواقع أو تتعلق بأجرام، أكثر هذا النوع مما يتعلق بمواقع أو أجرام أكثر هذا النوع مما يتعلق بمواقع، هذا إذا أحالته العقول فيجب أن يرد ولا يدخل القسم الثالث، ما يدخل في القسم الثالث مما لا تحيله العقول، أما إذا حالته العقول فيجب رده ولا يروى.

لذلك دخل كثير من التفسير في هذا النوع في كتب التفسير من قبيل أنه «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ولكنه مما تحيله العقول.

وهذا لو قيدناه بهذا القيد صار ما ورد عن بني إسرائيل مما يدخل تحت قوله إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فيكون قليلا جدا بالنسبة لما هو موجود.

فإذا استغنينا عن القسم الأول وهو ما جاء في شريعتنا ولا حاجة لنا لمرويات بني إسرائيل فيه، وإن ذكرت فتذكر هكذا، لا حاجة لنا بما جاء في شريعتنا رده، ما جاء ما رده العقل أيضا لا حاجة لنا به، فبقي نوع واحد وهذا قليل بالنسبة للبقية.

فهذا القول هو الصحيح -ما ذكره ابن تيمية هنا- هو التوسط في مسألة النقل عن بني إسرائيل؛ لأن الناس النقل عن بني إسرائيل من زمن التابعين وزمن الأئمة على ثلاث أنحاء:

منهم من يمنعها.

ومنعم من يقبلها مطلقا.

ومنهم من ينقل ما يدخل تحت هذه الشروط التي ذكرنا، وهو أن يكون النوع الثالث، ولا يكون داخل في النوعين الآخرين الثاني والرابع.

وليس من الاعتدال أن ينقد أي تفسير لأن فيه إسرائيليات، ويقال: هدا فيه لإسرائيليات، ونقّوا كتب التفسير من الإسرائيليات. هذا ليس بمنهج علمي صحيح لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وقال «إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فإنه إن يكن حقا فتكذبوهم أو يكن باطلا فتصدقوهم».

وهذا جعل كثيرا الآن يعتني بتخليص كتب التفسير من الإسرائيليات،

وأحيانا الإسرائيليات هذه توضح المقصود، مثل مثلا في حديث الفتون المعروف عن ابن عباس الحديث الطويل عند قوله تعالى "وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا "[طه:46]، ذكر الحديث الطويل، بعضه من القرآن، وبعض ما ذكر ابن عباس من قصة موسى عليه السلام والفتون يعني ما تدرج به وابتلاه الله جل وعلا به؛ بعضه من بني إسرائيل؛ لكن دخل في تفسير بن عباس ويقبل في ذلك لأنه مما لم يأتِ في القرآن رده.

فالقول بأن كل تفسير فيه إسرائيليات مردود أو ضعيف أو لا يصلح، هذا فيه نظر؛ بل ينبغي أن يقيد بهذه الضوابط التي قلنا"

قال (**ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم)**

يذكرون ما هي أسمائهم نقول الصواب أنها أسماء أعجميه وأما أن اسمه فلان هذا غير صحيح وإن ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق ضعيفة ولون كلبهم قيل لونه أرقط فيه بياض وسواد هذه من الإسرائيليات لما يترتب عليها . ما هي عدتهم ثابت عن ابن عباس بإسناد صحيح أنه قال أنا من القليل الذي يعلمهم وأنهم سبعه وثامنهم كلبهم هذا ورد عن ابن عباس .

قال ( **وعصا موسى من أي الشجر كانت** )

خلاف المفسرين من أي شجرة عصا موسى ومن أي بلد ذكر بعض المفسرين كالثعلبي أن عصا موسى هذه من الهند لكن هذا من الإسرائيليات ؛ لأنه لا بد من دليل على ذلك .

قال ( **وأسماء الطيور التي أحياها الله عز وجل لإبراهيم** )

ما هي أسماء الطيور ، الدميري ذكر عشرين قولاً في أسماء هذه الطيور ، والجاحظ رجح أنه من الحبارى وهذا كله من الإسرائيليات الذي لا يترتب عليه فائدة ، المهم نقول أنه طيور أحياها الله عز وجل لإبراهيم ، أما ذكر أسماءها لا يترتب عليه فائدة ؛ ولهذا لم يرد في القرآن ولا في السنة .

قال ( **تعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة** )

أي القتيل من بني إسرائيل فقلنا اضربوه ببعضها ، هذا هو الرِّجل أو اليد أو الذيل هذا خلاف بين المفسرين ، لكن ورد عن ابن ومسعود وابن عباس أنه الذيل بإسناد صحيح .

قال ( **ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى** )

أيضاً ما هي الشجرة التي كلم الله منها موسى في الطور هذه من الإسرائيليات ، ولهذا لم يرد في القرآن ولا في السنة .

قال **(إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز)**

يعني مادام أنه ما يخالف الشرع يقول الشيخ هذا جائز وذكر الشيخ أنه يبقى للإستشهاد لا للاعتقاد , لكن بعض المفسرين يغرق ويكثر من ذلك كالثعلبي وغيره .

- ذكر مثال في الخلاف حول عدة أصحاب الكهف، ورجح قولا واعتمد في الترجيح على نوع برهان وهو أنه في قوله ?وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ?[الكهف:22]، لم يقل بعدها (رجما بالغيب) وإنما قال ?رَجْمًا بِالْغَيْبِ?[الكهف:22]، قبلها، وهذا مما يؤيد هذا مع ضميمة قول بن عباس أنت أعلم عنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. هذا نوع من الترجيح والترجيح باللفظ لأنه قال في الأول رجما بالغيب وفي الآخر لم يقل، والترجيح يقول بقول الصحابي قول بن عباس: أنا أعلم عدتهم. طبعا ابن عباس يعلم عدتهم بناء على برهان من الفائدة في ذلك.

وأوجه الترجيح كثيرة متعددة ، واختلاف التضاد هذا هو الذي يرجح الصواب فيه بناء على براهين وأدلة في ذلك، لكل مقام ما يناسبه.

-وقد بين المؤلف أنه إذا حكى الرجلُ الأقوالَ ولم يبين الصحيح فتارة يلام عليه وتارة لا يلام، فإن كان يعلم الصحيح ولم يبينه فهذا قصور، وإن كان لا يعلم كما لو كان القولان عنده على حد سواء فإنه لا يلزم أن يبين ، فالإنسان الذي يسوق الخلاف فإن من الأمانة أن ينقل جميع الأقاويل، لأنه كما قال الشيخ ربما يحذف من الأقاويل ما هو أصح ، لكن هذا ربما يكون ليس على إطلاقه ، فقد يكون الخلاف كثيرا لا يندر أن يحيط به إنسان ، قد يكون في المسألة أربعين قولا مثل خلاف العلماء في تعيين ليلة القدر ، وخلافهم في معنى الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، ومثل قول "أنتي على حرام " هذا وصل إلى عشرين قولا . ولا شك أن بعض الأقوال قد تكون باطلة ، ومثل الخلاف في تعيين الصلاة والوسطى ما هي ، نقول هذا يكون بالجملة وليس في جميع الصور ، لكن قد يقتصر على ذكر الخلاف الذي تعضده الأدلة ، قد تكون هناك أقوال ضعيفة لا حاجة إليها ولا يعتبر ذلك نقصاً ، ولكن كونه يترك قول قائم وله دليلة هذا الصحيح فيه النقص ، فقوله "هذا ناقص " هذا ليس على إطلاقه لأنه قد يترك بعض الأقوال لأنها ضعيفة لا حاجة إليها

-ثم إذا نقل الأقاويل فإن كان لديه حجة ترجح أحد الأقوال وجب عليه أن يبين الراجح حتى لا يدع السامع في حيرة، وإن كان لا يعلم فليس عليه بأس في أن يذكر الخلاف ولا يبين الراجح؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

-والآية الكريمة التي ساقها المؤلف زعم بعض الناس أن أصحاب الكهف ليسوا سبعة وثامنهم كلبهم، وتشبثوا بقوله تعالي: ( قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ) ، وهذا لا شك أنه غلط في تفسير الاية، لأن الله تعالي قال: ( قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ) ، يعني وقد أبطل قولين وسكت عن الثالث، وعلى هذا فيكون الثالث هو الأصح، لأنه لو كان خلاف الأصح لبينه الله عز وجل؛ لأن الله سبحانه وتعالي لا يعلم الأمر على خلاف ما هو عليه، ثم إنه قال: ( مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) ، ولو كان المراد بقوله: )ْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم) مع أنه لا يعلمه أحد من الناس لكان متناقضا لقوله(مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيل) فالآية بلا شك تدل على أن أصحاب الكهف كانوا سبعة وكان ثامنهم كلبهم.

-وقوله: ( فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً ) ، فسره المؤلف رحمه الله بأن المعنى لا تجهد نفسك في التعمق والجدال في عدتهم ، لأنه لا طائل تحته، وهكذا يمر أحياناً في الأحاديث إبهام الرجل صاحب القضية ، فيقال: قال الرجل، أو أتى الرجل، أو دخل أعرابي ، أو ما أشبه ذلك. فتجد بعض الناس يتعب نفسه في تعيين ذلك الرجل مع أنه لا طائل تحت ذلك، فيشتغل بالمهم إن كان مهما عن الأهم، والأولى لطالب العلم ألا يضيع الوقت في مثل هذه الأمور التي فائدتها قليلة بالنسبة لغيرها، أو ربما أنها لا فائدة فيها إطلاقاً.

ويتلخص من كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قاعدة جليلة :

**((قاعدة في التعامل مع الخلافيات))**

* الخطوات الصحيحة والمنهج المتكامل :

قال المؤلف رحمه الله :

"فَهَذَا أَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِي حِكَايَةِ الْخِلَافِ:

1- أَنْ تُسْتَوْعَبَ الْأَقْوَالُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ،

2- وَأَنْ يُنَبَّهَ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْهَا ،

3- وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ،

4- وَتُذْكَرَ فَائِدَةُ الْخِلَافِ وَثَمَرَتُهُ ؛

لِئَلَّا يَطُولَ النِّزَاعُ وَالْخِلَافُ فِيمَا لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ فَيَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ الْأَهَمِّ.

*صور الانحراف والنقصان عن المنهج الصحيح في التعامل مع الخلافيات :

فَأَمَّا مَنْ :

1–حَكَى خِلَافًا فِي مَسْأَلَةٍ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ أَقْوَالَ النَّاسِ فِيهَا فَهُوَ نَاقِصٌ ؛
إذْ قَدْ يَكُونُ الصَّوَابُ فِي الَّذِي تَرَكَهُ

2–أَوْ يَحْكِي الْخِلَافَ وَيُطْلِقُهُ وَلَا يُنَبِّهُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ ، فَهُوَ نَاقِصٌ أَيْضًا.

3–فَإِنْ صَحَّحَ غَيْرَ الصَّحِيحِ عَامِدًا فَقَدْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ ،

4–أَوْ جَاهِلًا فَقَدْ أَخْطَأَ.

5–كَذَلِكَ مَنْ نَصَبَ الْخِلَافَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ

6– أَوْ حَكَى أَقْوَالًا مُتَعَدِّدَةً لَفْظًا ، وَيَرْجِعُ حَاصِلُهَا إلَى قَوْلٍ أَوْ قَوْلَيْنِ مَعْنًى ،
فَقَدْ ضَيَّعَ الزَّمَانَ وَتَكَثَّرَ بِمَا لَيْسَ بِصَحِيحِ ، فَهُوَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ."